

غاندى والنهضة النسائية

للاستاذ ر. ر. ديواكار^٢

يهتم زعماء الاصلاح الاجتماعى اهتماما كبيرا بالنهوض بالمرأة. ومن هنا لقب غاندى بـ المصلح الاجتماعى العظيم، فقد اهتم بأشياء كثيرة ومن بينها تقدم الجنس النسائى. وبالطبع فان هذا الوصف يشمل غير ذلك من أعمال غاندى الأخرى كاهتمامه باصلاح حال القبليين (البدو) والمنبوذين والطوائف المتخلفة الأخرى.

ولكننا نخطئ حين ننظر الى غاندى نظرتنا المعتادة الى المصلحين الاجتماعيين الآخرين، أو نضعه فى مرتبة مماثلة لمراتبهم، لأننا حينئذ نكون قد تجاهلنا عمق فكرته وقوة احساسه ووضوح رؤيته لقضية المرأة وتقدمها. واهتمامه بالجنس اللطيف لم ينبع أساسا من عطفه عليهم، أو من شهامته ومروءته، أو من مجرد موقفه كناصر ومناضل من أجل الضعفاء، ولكن هذا كان جزءا من نظريته المتكاملة الشاملة عن الحياة. وهذا كان نتيجة لاحساسه بما يعتلج فى أعماق صدور كل رجل وامرأة من عزم وتصميم قويين على تحقيق ما يدأبان فى النضال من أجله - عن قصد أو بدون قصد - ألا وهو التناسق الذى يجب أن يسود كل بيت إذا تعادل دور كل منهما، وأخيرا كان هذا بوحى من نظريته عن الغبطة المدهشة التى تآتى نتيجة لسمو العلاقات بين الجنسين.

(١) من محاضرة القاها الكاتب بجامعة بارودا Baroda فى اكتوبر

سنة ١٩٦٢ (٢) R. R. Diwakar

ومعظمنا يتبنى - على الأرجح - فكرة سطحية عن مشكلة نهضة المرأة أو تحريرها ثم يروح يفكر في إصلاح هنا أو تغيير هناك ، ونحن في هذا تناسي - تقريبا - كل مجرى التطور والمكان الذي هيأته الطبيعة للمرأة ووضعتها فيه في المرحلة الحالية من التطور البشرى ، ولهذا فانه من الضروري أن نستعرض باختصار الطرق الطويلة التي كانت الطبيعة تسير بنا خلالها .

وباختصار فالحياة على هذا الكوكب قد تطورت من كائنات ذات خلية واحدة إلى كائنات متعددة الخلايا ، واستمرت على هذا المنوال . وفي المرحلة المبكرة ابتدأت الخلية تنفس وتنبض بالحياة ، وهذه الخلية الواحدة كانت لها جميع وظائف الحيوان الحي ولم تكن أبدا ذكرا أو أنثى ، وكانت طريقة التكاثر هي انشطار الخلية الى شطرين متساويين إذا بلغت درجة النضوج . وكانت هذه طريقة لانتشار النوع لا تناسل فيها .

فأين إذن كان الذكر أو الأنثى ؟ .. أين كان الجنس وكل التعقيدات التي نتجت فيما بعد ؟ .. الذي كان موجودا هو إلحاح فطري من أجل الحياة ومن أجل تجديدها باستمرار جيلا بعد جيل ومن أجل إثبات الذات . وربما قيل بأن الرغبة في إثبات الذات هي في الحقيقة الدافع الأساسي الاصيل ، وربما عرفت بأنها الارادة أو الرغبة الأساسية . وقد ورد في نصوص

(١) Uni-cellular (٢) Multi-cellular (٣) عديمة الجنس

(٤) asexual

« الأپانیشادس ، (the Upanishads) ما يلى : « كان فى البداية ، « الكائن الأوحد ، فقط ، ونتيجة للشعور بالوحدة أو لعدم رضائه عن التفرد فى الوجود فان هذا « الكائن الأوحد ، قد رغب فى أن يتعدد (ekoham bahusyama) ومعنى ثم كان تكاثر الحياة ، وأيضا كان هذا الاختلاف المحير بين الكائنات الحية .

وقد ظلمت الكائنات ذات الخلية المفردة تعيش جنبا الى جنب مع الكائنات ذات الخلايا المتعددة تحت سمع وبصر كل باحث أو دارس . وفى الحقيقة فانه بالرغم من أن الانسان كائن متعدد الخلايا إلا أن الخلايا التى يتكون منها جسمه إنما هى مفردة فى تركيبها . ومع هذا فالانسان متعدد الخلايا لا لأن جسمه يحتوى على ملايين الخلايا فقط بل أيضا لأن به الكثير من الأنواع المختلفة من الخلايا ، وفى طريق هذا التطور للكائن ذى الخلية المفردة وأيضا للمتعدد الخلايا توجد مرحلة يبدو أن « الكائن عديم الجنس ، قد تطور فيها الى « الكائن الخشى ، (bisexual creature) أى الكائن الذى به خصائص الذكر والأثى معا . أما الخطوة التالية فى التطور الجنسى فكانت تخلق الحيوانات ذات الاشتهاء لجنس مغاير (heterosexual animals) ، وهى حيوانات يتميز فيها الذكر

(١) « الأپانیشادس ، (the Upanishads) هى أجزاء من « الفيدا»

(Veda) تتحدث عن كيفية الخلية وكيف تمت ومتى بدأت وكذلك

تتحدث عن الحياة وعن الأحياء وعن العلاقات الجنسية . والفيدا هى

« النص ص . المقدسة للدفانة الهندوسية (المترجم) .

هن الأثى. ومن هنا فالطبيعة قد انتهجت في تكاثر الجنس طريقة التزاوج بين الذكر والأثى من النوع الواحد، وهذا أدى الى الترقى في الحيوانات والتدييات وأخيرا في الرجل والمرأة اللذين يشتهى كل منها الآخر. وبالرغم من هذا، فانه لما كان أحدث الكائنات تطورا يمر في العادة بجميع الخطوات التي اجتازها في مراحل تطوره وتبقى فيه بالرغم منه بعض السمات الثابتة التي رسبها فيه ماضيه الطويل فاننا نجد في كثير من الرجال والنساء نزوعا إلى «الرجسية» (Narcissism) وإلى «العادة السرية» (self-pollution) وإلى الشذوذ الجنسي باشتها. الجنس المتماثل (homosexuality) وما إلى ذلك.

ومن الممكن أن تفسر هذا علميا بأنه من مخلفات مراحل الماضي التي مر بها الانسان، وهذه الأشياء نسميها اليوم بالانحرافات المؤقتة، وربما أطلقنا عليها أيضا اسم «انتكاسات غير طبيعية».

ومن المحتمل أن لا يكون هناك تطور خلقي أو عضوي قد ظهر في الانسان خلال بضعة آلاف مضت من السنين، ولكن يبدو أن الطبيعة قد قفزت قفزة درامية جريئة حين طورت «الأيپ» (the ape) الى إنسان، وفي الوقت الذي ظلت فيه سائر صنوف الحيوان ثابتة في نوعها وملائمة طرق حياتها التي يسيرها ويتحكم فيها ما نسميه بالفرائز فان الانسان قد وهب القدرة على الادراك الذاتي الذي يستوجب التفكير والتأمل وهذا يؤدي الى تكون ملكة «الضمير» (conscience) وهو التمييز بين ما هو صواب وما هو خطأ، ولذلك فللإنسان اليوم مجاياه الخلقية، كما أنه أهل -

(١) هو نوع راق من القردة قريب جدا من الانسان ويسمى

«إنسان جاوه»

الى حدما - لتشكيل مصيره بنفسه . وفي الوقت الذى يستطيع فيه عقله أن يتغلغل فى أسرار قوانين الطبيعة ويستطيع ضميره أن يميز بين ما هو صواب وما هو خطأ فان لارادته قوتها التى يستطيع بها أن يصدر قراره الى أية وجهة يمكن أن ينجح هل الى الأفضل أم الى الأسوأ ، وكذلك تستطيع قوة إرادته هذه أن تستغل وأن تستعمل ما حصلتته من معرفة وعلم بهذه القوانين فى إشباع دولفج الحياة الحيوانية الدنيا أو فى النضال من أجل الأهداف العليا للحياة السامية التى يجتذبه اليها مصيره ، ويبدو أن نهج التسلسل الطبيعى للتطور الانسانى يبدأ من «الوحش» (beast) ويتسلسل الى «الذات العليا» ، والطبيعة فى هذا تساعد هؤلاء الذين يسيطرون على مصائرهم وتسير بهم فى التطور الى مستوى أفضل ، وإن لم يتم هذا على نمط كامل فانما يتم بصورة جزئية على الأقل . وقد دعا «أروبندو» (Aurobindo) الى ممارسة «اليوجا» (Yoga) «أو التطور المحسوس» (conscious evolution) أما عملية التطور العضوى غير المحسوس أو غير الملبوس التى كانت تتم خلال حقب الماضى الطويلة فان هناك الآن محاولات لأن تكون تطورا إراديا محسوسا نحو المثل الوجدانية العليا ومن أجل توجيه القوى البشرية الى أنبل المقاصد .

وفى محيط هذه النظرية فان الرجل والمرأة وعلاقتهما المتبادلة يجب أن يفحصوا وأن يدرسوا ، لأن البشرية ينبغى أن تتجه أفضل منهج خلال رحلتها نحو الأصلاح .

(١) عبر الكاتب هنا بالكلمة الانجليزية «God» اى الاله . والكاتب

يدين بالهندوكية (المترجم)

وليس ثمّة من داع لأن تزود بالحكمة أو بمزيد من العلم لكي
تقرر أن كلا من الرجل والمرأة ينجذب نحو الآخر بعوامل جنسية، وأن
هذا الأمر لا ضابط له سوى ما تقتضيه دواعي الصحة والتربية الحسنة
والآداب الاجتماعية، وأن الجنس ليس فقط أداة لتكاثر النوع بل هو
أيضا وسيلة للحصول على أعلى مراتب المتعة الجسدية المتاحة لكل من الرجل
والمرأة، وما إلى ذلك.

وما ذكرناه من أفكار ونظريات منطقية يتجاهله هؤلاء الذين
يهتمون تمام الاهتمام بالجسد فقط وبمسراته وبمليذاته، وكذلك الماديون الذين
يقولون بأنه لا كينونة ولا وجود إلا للجسد.

ولكن الذين يدرسون أنماط التطور، ويتقصون المراحل التي
اجتازها، والذين يرون الذرى السامقة التي ارتقى إليها قلة من الرجال
والنساء ذوو همم سامقة وذوو نبل مثل: الفنانين والشعراء والقديسين
والشهداء، وكذلك الدين يؤكدون بأن هناك كثيرا من المتع والمباهج التي
تفوق كثيرا ما يتلذذ به الجسد، وأن هذا الجسد ليس إلا وعاء متنقلا يغلف
شيئا ما نسميه نحن في العادة بد «النفس»، أو بد «الروح»، كل هؤلاء
يعتقدون النظرية التطورية. وهم أيضا على ثقة من جدوى المحاولة لقيادة
الجنس البشرى، في النضال من أجل تحويل المحرضات الحيوانية إلى
دوافع للإيثار وإلى الارتقاء بالجنس البشرى إلى مستوى أعلى في الحياة الروحية.
ولاشك في أن غاندى ينتمى إلى الطائفة الأخيرة من الناس الذين
يناضلون في الجبهة الأمامية في سبيل التطور الحقيقي للجنس البشرى، ومن
أجل هذا فنحن الآن بصدد نظرياته عن المرأة ونهضتها، ولن نستطيع فهم

أفكاره عن المرأة وكيف حاول أن يحرر كلا من الرجل والمرأة من الحياة الحاضرة التي تسودها الأوزار الحيوانية والتي بسببها يبدو معظمنا وكأنه مستسلم لخوره وضعفه .

لن نستطيع فهم أفكاره هذه - اذا نحن تناسينا النظريات الروحية العميقة الخاصة به أو تجاهلنا مدى ما وصل اليه من تطور علمي جوهري أو اذا لم نقدر رغبته الجادة في الارتقاء بالرجل والمرأة الى مستوى أعلى في الوجود الانساني، وهو قد احتقر النزعات التي وضحها في جلاء «بيترم سوروكين» (Petrim Sorokin) في كتابه «الثورة الجنسية الأمريكية» (The American Sex Revolution)، والتي لخصتها مؤخرا المسز «كليوشب» (Mrs. Clio Shupp) في مقال افتتاحي نشرته جريدة «سترداي إيفنج بوست» (Saturday Evening Post) جاء فيه ما يلي : تقوم الأمهات - في تهور وفي غير تبصر للعواقب - بالزج بيناتهن الصغيرات الى معترك الجنس في سن مبكرة جدا وهن بذلك يحرمنهن من النمو العاطفي الطبيعي، ويجمعان زمن صباهن متجهما بشعا، ولهذا فان البنات الصغيرات اليوم لسن بصغيرات على الاطلاق، ولكنهن إناث مكتملات النمو بدون أن يتاح لهن وقت يؤهلن لأي شئ في هذه الحياة وبدون أن يكن مستعدات للحياة الجنسية .

وقد أبدى غاندى مخاوف حقيقية تجاه ما كان في بلادنا من نزعات قوية نحو تقليد المناهج الغربية المادية وتبني الآراء أكيدة الضرر، وهو لم يكن يرفض أى شئ لأنه غربي، فلم يكن متزمتا ولا محافظا ولا مجرد وطني طيب الفكر، ولكنه كان دائما متفتح العقل صادق الوجدان،

وكثيرا ما كان يقتبس الأفكار من أى مكان ويتبنى النظم من أى بلد إذا أدت الى صالح الشعب . وإذا كانت متسقة مع المثل التى يعتنقها ، وفى نفس الوقت كان يعادى ويحرم كل فكرة أو عمل لا يتمشى مع النمو الروحى للشعب أو يضر بحرية الانسان أو بكرامته أو باحترامه لنفسه أو يعرقل محاولات الانسان فى إثبات وجوده ، وفوق كل ذلك كان يحرم أى شئ يخالف الطريق الذى اختاره الى الحق وإلى «اللاعنف» . ومن جهة اخرى فانه كان يرحب بأى شئ يخدم ويدعم قضية الحق عن طريق اللاعنف سواء كان مصدره تقاليد وطنه أو كان من الغرب أو حتى من قبائل الاسكيمو .

وهو لم يكن يفرق بين الرجل والمرأة طالما ان الهدف الروحى والطريق اليه لم يهمل ، وفى نفس الوقت كان غير غافل عن الفوارق العضوية التى سببتها الطبيعة ، ولا عن الاختلافات الهامة فى بيئات ووظائف كل من الجنسين ، ومع أنه كان لا يترشح عن رأيه بالمساواة بين الجنسين ، ووجوب احترام حقوقهم فقد كان أيضا يفصح عن رأيه بأن المساواة لاتعنى المماثلة أو حتى المشابهة الميكانيكية . وكان معنى المساواة عنده الفرص المتساوية فى الحياة ، وكان يعتقد بأن الرجل والمرأة ولو أنهما متساويين الا أن كلا منهم قد خلق لتكريم الآخر ، وأن أيا منهما لا يكتمل أبدا بدون الآخر .

وقليل ما هم هؤلاء المصلحون الاجتماعيون الذين عاجلوا قضية المرأة بمثل العمق والاهتمام اللذين عاجلها غاندى . بهما . ولم أعرف فيلسوفا اجتماعيا آخر قد كتب بصراحة وثبات وبإحاطة كبيرة عن مشكلة الرجل

والمرأة كوحدة أساسية للمجتمع الانسانى وعن علاقاتها ومهامها . وقد
عالج غاندى هذه المشاكل لاعلى الطريقة النظرية البحتة واما حينها وكلما
تصادفه وتعرضه خلال حياته الحافلة . ولم يكن من الممكن أن يغفل أى
جانب من جوانب دور الرجل والمرأة فى المجتمع ، وكلما كتب عن هذه
المسائل لم تكن كتابته تحمل أى طابع أكاديمى ، وليكنها دائما كانت آراء
مبتكرة ونابعة من تجاربه .

وكانت لغاندى طريقته الخاصة فى العمل من أجل إصلاح المجتمع
النسائى وكذلك فى كثير من المسائل الأخرى . وينبغى علينا حقيقة أن
ندرس وأن نبحث منهجه العلمى على وجه الاجمال . فهو لم يكن يهمل
حقوق النساء لحظة واحدة ، وهذا لايعنى أنه كان مجرد محام لحقوق المرأة
فقد كان يعرف أنه يجب لكل حق أن يمارس ، ومن شأن هذا أن تكون
هناك واجبات حتمية ، ومسئوليات لا بد وأن يتحملها شخص ما من أجل
احترام هذا الحق والسماح بممارسته ، ومن هذا القبيل كان من رأيه أنه
من الأحسن للنساء أن يمكن من حماية أنفسهن ، وذلك يتأتى إذا اعتمدن
على أنفسهن ووثقن فيها . أما الصياح والعيول والاستجداء على أبواب
الرجال فلن يحدين شيئا ، ولن يبعث فيهن أى شئ من القوة الداخلية ،
أما اذا تفهم النساء واجباتهن ووقفن بثبات يدافعن عن حرياتهن ويطورن
أفئسهن فانهن سيرغمن الرجال على احترامهن .

وهناك حادثة مشهورة توضح موقف غاندى ونظرته الى الحقوق

والواجبات فان الكاتب الانجليزى دج . ه . ويلز ، (G. H. Wills) قد
أصدر ذات مرة ميثاقا ضمنه الحقوق الانسانية وأرسله الى كثير من

الرجال البارزين والقادة في العالم ومن بينهم غاندى وطلب منهم تأييد هذا الميثاق وتذييله بتوقيعاتهم ، ولكن غاندى أعاده اليه بلا توقيع وأرفق به رسالة قال فيها : « إنه يجب عليه - أى على ويلز - أن يصدر في الحال ميثاقا عن الواجبات ... »

ولم يكن غاندى أبدا منقطعا لقضية المرأة كما لم يستجب أبدا لرغباتها ، وكثيرا ما كان عنيفا - إلى حد ما - في نقده للنساء مثلما كان مع الرجال . ولكن عطفه على النساء لم يكن لأنهن نساء ولكن لأنهن المطبقة المغبوة . وكذلك لم يكن غاندى من المطالبين بمنح المرأة حق الانتخاب . ولكن كنتيجة لموقفه وموقف زملائه التقدميين ظفرت المرأة بحق الانتخاب في أول دستور للهند ، وكثير منا يجهل أن عددا من الدول الأوروبية المتقدمة لم تسلم بتحرير المرأة الا بعد عناء ونضال مرير ، وحتى الآن فان بعض ولايات سويسرا لاتعطي المرأة حق التصويت في الانتخابات العامة . ولم يبدأ غاندى أى حركة - من حركاته التي كانت تعم الهند كلها - من أجل النساء كما فعل في قضية «المنبوذين» (Harijans) وهناك بلاشك بعض المؤسسات النسوية في مدينة «واردها» (Wardha) الهندية ولكن هذه المؤسسات قامت لغرض خاص هو تزويد البنات بقدر من التعليم والتدريب أكثر من أن تكون برنامجا خاصا يهتم اهتماما كليا بنهضة المرأة . إذن فما الذى فعله غاندى - بصفة أساسية - من أجل النهوض بالمرأة إلى مركز أعلى ؟ ؟ والسرها هنا يكمن في دأبه المستمر على أن تكون قضية المرأة أمام عينيه ، وهو لم يضيع فرصة واحدة في حياته دون أن يطمئن على أن هذه القضية قد أصابت نجاحا .

والى الطريقة التى نظر بها غاندى الى قضية المرأة وكيفية معالجته لها يرجع الفضل فى ارتقاء مركز المرأة ونموثقتها بنفسها وتضاعف فرصها ، والتزايد الملبوس فى الحرية والحركة ، وهو قد استفاد طبعا من أنه خاض المعركة فى ميدانها بعد عدد من رجال الطليعة الذين سبقوه منذ أيام «الراجا رام موهان راي» (Raja Ram Mohan Roy) الذى مهد السبيل أمامه . ولكن من الممكن أن يقال أن التقدم فى عهد غاندى قد قفز قفزات سريعة كبيرة بينما كان فيما سبق يسير الهويانا أويجرى على أكثر تقدير .

وقبل كل شئ دعنا أولا نرى على الرغم من آرائه المتزمتة التقليدية عن السيدة «كستوربا» (Kasturba) وعن خضوعها الأعمى له كزوجة هندية مغلصة - كيف ارتقت هذه الزوجة الى مركز السيدة الأولى فى الهند . وبينما نعزى الى تضحياتها وخدماتها الجليلة ارتقاءها الى هذا المركز السامى فاننا لانفعل أبدا أن غاندى قد حاول دائما أن يهين لها الفرصة الضرورية لى تزاوول إمكاناتها ومقدرتها الكاملة . وقليل من عظماء الرجال من يفخر بزوجة هى شريك له على قدم المساواة ، ليس فقط فى مباحج الحياة ومآسيها ولكن فى الاقدام والمجد اللذين ينشئان عن النضال البطولى والخدمات الجليلة على أرفع مستوى .. والأغلب فى زوجات عظماء الرجال أن تضمحل شخصياتهن أو يفقدن كيانهن تماما .. ومن المعروف جيدا أن غاندى كان فى منزله طاغية ودكتاتورا الى حدما ، ولكنه حتى فى هذا لايفعل عن مقتضيات المبادئ ، وهو حينئذ قد صح لديه بأنه لم يهن زوجته ولم يجرح هزة نفسها أو كرامتها ولم يثبط من طموحها الى خدمة زوجها وشعبها .

وهناك قصة شهيرة تروى عن الدكتور د. ك. كارفي، (Dr. D. K. Karve) الذي توفي مؤخرا عن عمر يناهز خمسة ومائة عام بعد حياة حافلة بالعمل الشاق الذي كرسه لقضية المرأة، وهو الذي أسس أول جامعة للنساء في الهند، وقد كان باليابان في بعثة ما عام ١٩٣٠ حينما بدأ غاندي مسيرته داندی، (Dandi March) مفتتحا بحركة الملح، (The Salt Satyagraha) وعاد كارفي الى الهند حينما كانت هذه الحوادث على أشدها، فشهد ظاهرة بللت عينيه بدموع الفرح. لقد شاهد مئات من النساء... من الطبقات الرفيعة ومن الطبقات الدنيا، من المعجئات ومن الشابات - سائرات نحو البحر في شوارع بومبائي المزدهمة، وكانت جموعهن مطوقة بكونستبلات وجنود البوليس المدججين بالسلاح الأبيض، وبدون رهبة أو خوف كن يسرن وقد ارتدين الملابس الزاهية الألوان ويرددن أناشيد البطولة، ويتقدمن فيلقا في إثر فيلق نحو البحر متتهكات قانون الملح، وصاح كارفي من فرط الاعجاب قائلا: «ان ما فشلت جهودى وجهود أمثالى في تحقيقه خلال عشرات السنين قد حققه ساحر سابارماتى، (Sabarmati) بعمله الخيالى دفعة واحدة..»

وحيثما يرى أى انسان مثل هذا الموكب النسائى يضم سيدات لا يعرفن الخوف فى اقدمهن على خوض معركة الحرية لايسعه إلا الاعجاب بشجاعتهم. ومن يستطيع حينئذ أن لايبادر باحترامهن، ومن يستطيع أن يلقبهن حينئذ بالجنس الاضعف أو يتجارأ فيدعى بأذه ينبغى عليهن أن يكن مجرد جوارى يقبعن فى المطابخ أو فى الحريم كمجرد وسائل لقضاء شهوة الرجال.

وكان هذا هو الأسلوب الذى زاوله غاندى . وكان يستدعى الفتيات والسيدات ويملأهن بالحماس والغيرة، ويقوى فيهن الوعى بالقضية الكبرى، ويدفع بهن قدما الى الأمام كي يجدن طريقهن نحو مركز جديد ومساو للرجال . كان يفعل ذلك سواء أكان قابعا فى مقره «بأشرام» (Ashram) أو مصطافا على شاطئ البحر فوق الرمال الملتصبة فى قبض الظهيرة .

وهناك كتاب أو اثنان يتحدثان عن «النساء فى حياة غاندى» (Women in Gandhi's Life) أو «نساء خلف غاندى» (Women Behind Gandhi) ولكن قد حان الوقت كي يكون لدينا كتاب فى موضوع «غاندى فى حياة النساء» (Gandhi in Women's Lives) حتى نتمكن من معرفة كيف ومتى وإلى أى مدى وفى أية وجهة كان أثر غاندى فى حياة الفضليات من النساء فى عهده .

ولم يكن غاندى مقتنعا بتقدم عدد قليل من السيدات اللائى نشأن بالمدن أو المتحذلقات أو المثقفات بل إنه فى الحقيقة قد عبر عن أساه لتقدمهن المزعوم . وحينما أقيمت «مؤسسة كاستوربا» (The Institution of Kasturba Trust) وطلب منه أن يفضل بركته وهدايته احتياجات نفسه الى أعرق أغوارها، وتجلى اهتمامه بالنساء فى القرى النائية على هيئة مقترحات بدت وكأنها صعبة التحقيق . وقد اقترح بأنه ينبغى أن يتاح للفتيات تدريب على الخدمة المدنية فى مجالات شتى، كما ينبغى أن تنشأ مراكز التدريب هذه فى القرى العامرة أو التى يقل سكانها عن ٢٠٠٠ نسمة، وفى هذا وضع تماما للجميع اهتمامه بالقرويات، وقد تشبث دائما باقتراحه هذا على الرغم من الصعوبات التى تأكد منها .

وقد رأى غاندى باحساسه المرهف أن المرأة ليست طائفة ، وليست مجتمعا ، كما أنها ليست فردا فى مقر سكنى وليكنها نصف البشرية فى التعداد ، وهى هناك فى أى مكان يوجد فيه الرجل ، وحياتها لا يمكن التفكير فيها وحدها بمعزل عن حياة الرجل ، وهما فى الحقيقة متساويان . وقد استطاع غاندى أن يدرك بسهولة أن تقدم الرجل يتاثر بتقدم المرأة بصورة جوهرية كما أدرك أيضا أن الرجل اذا لم يتقدم بسرعة كافية فسبب ذلك أن شريكته لم تصبح بعد كفتنا لذلك . ونظرية غاندى كانت متكاملة ، وقد ناضل جاهدا من أجل استقرار كل من الرجل والمرأة ومن أجل اقتناعه بأن تقدم وخلاص الانسانية واكتساب الانسان لمستويات أعلى فى حياة بهيجة متناسقة يتوقف على التعاون التام والتقدم المتساوى لكل من الرجل والمرأة .

وهذا فقط سرد وإيضاح لقيمة القدر الأساسى مما استطاع غاندى أن يقدمه لنا كفتح لكل ما فكر فيه ولكل ما قال ولكل ما كتب ولكل ما فعل فى قضية المرأة .

تعريب: الاستاذ زاهر عرب الزغبى

(١) والمقال ترجمه الاستاذ زاهر عرب الزغبى وهو استاذ للعلوم الدينية والعربية بمعاهد الأزهر وقد تخرج من كلية الشريعة الاسلامية - جامعة الأزهر وحصل على إجازة التربية وعلم النفس من معهد تخصص التدريس بكلية اللغة العربية - جامع الأزهر .